الصـــفات المحسودة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال شوبنهور : إن حسد المرء للشيء يكون على قدر يأسه من نيل مثله ؛ وهذا اليأس سبب أساسى من أسباب الحسد ، فقد يُحْسَدُ صاحب الضياع والعمارات والسيارات ، ولكن حاسده قلما يقصده بحسد كحسده لصاحب العقل الرجيح الأصيل الذى يستمد من العبقرية الموروثة صفاتها . فالأول قد يُحْسَد فى فترات غير متصلة ، لأن الحاسد يرجو أن ينال الخير على يديه مما لديه ، أو يرجو الخير من جاهه ووساطته لدى من تنفع شفاعته عنده . فالخير يرجى فى التحبب إلى الغنى والخضوع له والمهابة عند طلعته ؛ وهذه أمور قد تكون ظواهر تستر حسدا ، ولكن المرء إذا روض نفسه عليها واعتادها عاد بعضها حقيقة فى نفسه يخالطها أو لا يخالطها النفاق . ومما يعين فى تحويلها إلى حقيقة أن المرء مأخوذ بوسائل الحياة ، مفهوم بها من مال وعقار وجاه ، فهو يعدها أسباب الحياة الأولية أكثر مما يعد العبقرية من أسباب الحياة ؛ ولا يجل الناس عقلاً بلا مال قدر ما يجلون مالاً بلا عقل . فالموهوبات المادية لا يحسدها المرء قدر حسد الموهوبات العقلية ، لأنه يرجو الخير عند الأولى بالتحبب إلى صاحبها ، ولأنه يهابها ، والهيبة والاجلال تتغلب على الحسد لمرء المهيب . أما الثانية فاذا كانت استعدادا موروثاً من صفات العبقرية لا يجلبه التعليم ولا تخلقه التربية ، لم يكن للمحروم أمل فى نيلها ؛ وهذا اليأس منها منشأ الغيظ والمقت والحقد والحسد . وامل النفس تركى نفسها بأن المرء المحسود لم ينل الاستعداد الموروث بجد واجتهاد وعمل فهو لا فضل له فيه ، وهذه مغالطة ، فان الاجتهاد والجد والعمل صفات منشؤها استعداد موروث آخر

ولا يحسد المرء المال الموروث قدر حسده العقل الموروث ، لأن المال الموروث يوجد مثله فى السوق ، وقد ينال الصعلوك مثله وأكثر منه فيغنى بعد فقر . فالأمل فى كسبه موجود دائماً حتى وإن بعدت وسائل نيله ؛ وإذا وجد الأمل لطف من عدواء الحسد . أما الاستعداد العقلى الموروث فلا يناله أحد بالاجتهاد والعمل كما ينال العلم المكتسب الذى هو شيء آخر ، فليس عند المحروم أمل فى نيل صفات العبقرية الموروثة مهما كان أمله عظيما فى نيل العلم المكتسب ، فتراه يحسد على الاستعداد العقلى الموروث أكثر من حسده على الضياع والعقار ، وأكثر من حسده على العلم المكتسب ؛ وهو لا يحسد على الضياع والعقار والمال إلا إذا يئس من بلوغ الخير عند صاحبها ، أو إذا يئس من بلوغ مثلها بالجد والاجتهاد ، أو بالنصب والاحتيال ؛ وهو لا يحسد على العلم المكتسب إلا إذا حُرم صفات الجلد والثابرة والقدرة التى ينال بها العلم المكتسب . فاليأس هو أساس الغيظ والحقد والحسد فى كل حالة من الحالات الثلاث

ومما يحير الألباب أن ترى انساناً فقيراً لا حول له يُحْسَد على صفات العبقرية التى هى فيه أو التى يحسبها الحاسد من صفاته أكثر من حسد الحاسد للغنى صاحب المال والجاه ، فيحار الباحث المفكر فى تعليل هذا التفاوت فى الحسد ؛ وكان المعقول فى رأيه أن يكون مقدار الحسد على عكس ما يرى لأن الناس تتقاتل على الذهب والفضة ، ولكن إذا عرف الباحث ما ذكر من نشأة الحسد وسببه زالت حيرته وزال عجبه

ولعل لهذا الانقلاب فى مقادير الحسد الذى يقصد به صاحب المال وصاحب العقل الموروث سببا آخر ، وهو أن وسائل القهر والدفاع والانتقام متوفرة عند صاحب المال وهى أمور يخشاها الحاسد ، والخوف منها يلطف من غلواء حسده لصاحب المال والجاه خشية أن يصيبه من قدرة الغنى أو صاحب الجاه ومن انتقامه وبطشه ما يؤذيه فيردعه الجبن عن الحسد . فترى أن الرهبة من وسائل البطش عند صاحب المال والجاه تعمل أيضاً عمل الرغبة فى الاستفادة من التحبب اليه ، وكلتاهما تضعف الحسد فى نفس الحسود

ومظاهر العقل المكتسب لا ينالها من حسد الحاسد قدر ماينال مظاهر العقل الموروث ، فالعلم الذى ينال بالاجتهاد هو من مظاهر العقل المكتسب الذى يستطيع كل مثابر أن يناله ، أما العبقرية فى شتى مظاهرها فلا ينالها المحروم بالجد والاجتهاد ، ويأسه

منها واقع لا محالة ؛ وهذا اليأس هو منشأ غيظ المحروم منها ومنشأ حسده ، ولا يردعه عن كيد الحسد خوف البطش ، لأن العبقرى قلما تتوافر لديه أسباب البطش توافرها عند صاحب الجاه والمال . فالجبن الذى يحذر الحاسد من بطش المحسود إذا كان ذا مال وجاه يتطلب فى نفس الحسود ما يزكيه وما يداوى أله وما يغالط النفس عنه كى لا تعتريها الذلة والاحتقار من أجله بأن يتحول الجبن استطالة وكيداً لصاحب العبقرية الذى فقد وسائل البطش أو لمن خيلت فيه صفات العبقرية

ومن أجل ذلك ترى أن المرء قد يؤلف كتاباً فى الجبر أو الحساب أو الهندسة أو غيرها من العلوم فيروج ويقرأ فى شتى المدارس وينشر مؤلفه منه طبعة بعد طبعة حتى يثرى بسببه ويقتنى العقار والضياع ويحصل من أجله على مال كثير فلا يصيبه من حسد الحساد قدر ما يصيب فقيراً من ذوى الفنون أو الفكر الأصيل إذا لمحت فيه مظاهر العبقرية أو خيلت فيه لأن العبقرية استعداد موروث لا أمل للمحروم فى نيله ، واليأس منشأ الغيظ والحسد . أما صاحب العلم المكتسب الذى يؤلف كتاباً يغتنى من أجله فقدرته قدرة مكتسبة يستطيع كل انسان أن ينال مثلها إذا انصرف إلى وسائل نيلها وخصص نفسه لها ، فلا يأس يدعو الى الغيظ والحسد الشديد ؛ وإن كان يصيب صاحب العلم المكتسب حسد عليه فحسد الكسول الذى يستطيع بلوغ العلم المكتسب ولا يتخذ العدة لبلوغه ، وهذا حسد كسول مثل صاحبه الحسود . وإذا كان ذا نقص عقلى يمنع من بلوغ العلم المكتسب فالحسد فى هذه الحالة على العقل الموروث الذى نقص حظه منه

وعلى هذا القياس ترى فى الفنون أستاذ الصنعة الذى حُرم العبقرية وا كتسب الصنعة بالجد والاجتهاد ، لا يحسد قدر ما يحسد الفنان الذى يرى الناس فيه مظاهر العبقرية ؛ فترى الأول ذا جاه وأصدقاء ومال ولا يحسد على كل هذه النعم قدر ما يحسد الثانى . ومما يزيد الحنق والحقد على ذوى العبقرية فى شتى مظاهرها العلمية والفنية أنهم أناس ذوو نظرات جديدة خاصة ، والناس من أجل كسلهم الفكرى ومن أجل خوفهم من الجديد المجهول غير المألوف يرون صلاح الحياة وضمانها فى الاستمساك بالمألوف ، حتى ترعمهم العدوى شيئاً فشيئاً على الأخذ بما لم يكن مألوفاً لديهم . ومما يزيد فى خوفهم شطط أهل الشطط ؛ وهذه الأسباب إذا علت جانبا من جوانب الحنق والحقد فانها لم تعلل كل جانب ، ولم تعلل الحسد الذى ينشأ من الرغبة فى شىء حال اليأس دونه . وكثيرا ما يختفى الحسد وراء ستار فيحسب شيئاً آخر غير الحسد . وكثيرا ما يحسب فضيلة من الفضائل لأنه يستتر بستار الفضائل ويتخذ لباسها لباساً كى يخفى قبح نفسه ، وكى يكون أبلغ فى الكيد لأنه يبيح كل ضعة . والحسد ليس من صفات المحرومين وحدهم ، فان من الموهوبين من هو شديد الحسد . ومنشأ الحسد فى الموهوبين الرغبة فى التفرد بكل إجادة . والعبقرى الموهوب قد يحسد إذا يئس من حيازة شىء جليل أصيل وإن كان عنده مثله . فالرغبة فى حيازة كل فضل ، واليأس من تحقيق تلك الرغبة ، يُنشئان الحسد فى صدره كما ينشأ فى صدر المحروم

وقلما يحسد أشباه العامة ذا العبقرية قدر حسد العلماء أو المتعلمين أو الحفاظ المجتهدين له ، فمن أخذ بنصيب من العلم قل أو كثر أحسّ فقدانه العقل الموروث إذا كان قد حرم صفاته فييأس منها مهما غالط نفسه وادعاها لها . فالمغالطة والحنق الناشئ من اليأس قد يتفق وجودهما فى وقت واحد . والعامة إذا أبغضوا ذوى العبقرية كان بغضهم بسبب حِلب العبقريين لغير المألوف من المعانى فى بعض الأحايين وبسبب قلة فهم العامة ، وما ينشأ عنها من الغيظ والخوف والمقت ، فيستثمر الحسود المتعلم هذه الصفات فيهم كوسائل لأشباع حسده ؛ وقد يستثمرها كى يصرف نفوسهم عن أن يحسدوه على جاه أو مال أو كى يزكى نفسه بمعاونتهم فيما يحس من ضعف وجبن نشآ من اليأس والعجز عن الأمر المحسود الذى لا يستطاع نيله لأنه استعداد موروث

عبد الرحمن شكرى

الإيحاء
فن الحياة ومفتاح السعادة
التنويم المغنطيسى (بالصور) ١٠ والبريد ٢
قراءة الأفكار وعلوم نفسية ٥ « ١
موجز التنويم بالصور عشرة مليمات
للأستاذ وليم ستر جيوس المحامى بمصر
شارع الترعة البولاقية رقم ١٥٦ بالسبتية